عرفنا أنّ دي سوسير قدّم صورة عامة عن النظام اللساني من خلال ثنائياته ومصطلحاته، ومن خلال قوله بأنّ اللغة مؤسسة إنسانية اجتماعية ، وقوله أنّها أهم أدوات التواصل البشري، وقوله بنظاميها الثابت والمتغيّر من خلال ثنائية اللغة والكلام، ولكن ما ظهر من المدارس اللسانية خرج في بعض جوانبه عن هذه الآراء الأساسية ، ومن بين هذه المدارس مدرسة جنيف اللسانية:

1- تعريف المدرسة:

تأسّست مدرسة جنيف اللسانية من أتباع دي سوسير الذين تشبّعوا بمبادئه وأفكاره على رأسهم شارل بالي وألبرت سيشهاي اللذين جمعا دروسه وأخرجاها للإنسانية عام 1916 ، في حين كان لهذين الباحثين أتباع توجهوا بالدرس اللساني نحو المستقبل، منهم: هنري فراي و روبرت كوديل .

2- مبادئ المدرسة:

تبنّى شارل بالي وزملاءه ثنائية اللغة والكلام التي أقرّها أستاذهم، ولكنهم قاموا بمناقشتها وتطويرها من وجهة نظر خاصة تعمل على إعطاء صبغة جديدة للطرف الثاني من هذه الثنائية، ألا وهو **الكلام** " ذلك القطاع الذي سكتت عنه محاضرات دي سوسير استجابة لضرورة منهجية اقتضاها التوجّه الصارم للدراسة اللغوية عنده"

ومن خلال نظرة شارل بالي الجديدة للكلام باعتباره ظاهرة فردية وليس واقعة اجتماعية مثل اللغة، طوّر شارل بالي نظريته الخاصة التي اصطلح عليها (بالتحقق والانجاز) "تستهدف هذه النظرية عن طريق تحويل اللغة إلى الكلام، تحويل المفاهيم المجردة إلى مفاهيم تتّصل بالواقع ، أي تحويل الافتراضي إلى منجز".

فاللغة عبارة عن مجموعة من الوحدات الافتراضية نتيجة لأنها تتكوّن من عناصر بنائية محدودة (ضيقة الأفق) من حيث بناؤها ومن حيث أفقها المعنوي والدلالي، والاستعمال يحوّل هذه الوحدات عن مفاهيمها التجريدية التي تتصف بالتعميم والاستخدام المطلق إلى وحدات لغوية ذات قدرات لامحدودة التعبير، وهذا ما نجده في الطرف الثاني من الثنائية ألا وهو الكلام

الذي يحمّل هذه الوحدات طاقات تعبيرية تتجاوز ما تمتلكه في النظام (يقصد بالنظام نظام اللغة الثابت).

قام شارل بالي بتأسيس نظريته حول **العلاقة بين المستويين النحوي والوظيفي** داخل الكلام، وتُعنى هذه النظرية بالمبادئ التي تحكم عملية تغيير العلامة اللغوية لوظيفتها النحوية إلى وظيفة جديدة يفترضها الاستعمال، ويقصد بذلك إعطاء قدرة أكبر للقواعد والسنن لأداء وظيفة أفضل للتواصل اللغوي التي هي المهمة الأساس للغة، وذلك من خلال توسيع مجال النحو الموروث إلى قواعد جديدة تفرضها الحاجات الوظيفية المتجددة للإنسان من أجل التواصل الأمثل، ولا نعني بذلك خرق قواعد النحو واستبدال سننه، بل نقصد تطويرها وجعلها متحولة لا ثابتة لتلائم الحاجات الجديدة للتعبير الكلامي.

ومن النقاط التي أسست لآراء شارل بالي اللسانية اعتماده على فكرة (الوعي في وضع الدليل اللغوي) الذي يربط بين الدال والمدلول، يقول: " أما الأدلة (العلامات) فهي **إرادية** وضعت قصدا لتفيد شيئا ما، وهذا الوضع تمّ بالتواطؤ والاصطلاح لغرض واحد هو التبليغ"، أما سوسير فرأى أنّ العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية لا منطقية.

محاولة بالي وضع نظرية (النظم التبليغة) وهي تلك القواعد التي " تقطع فيها الخطابات إلى وحدات مميزة قابلة للتكرار من متكلّم إلى آخر، ويخضع هذا التركيب لقواعد خاصة، حيث أنّ لكل نظام تبليغي مقياسه الخاص به" ، وهي ترتبط بعملية الاستعمال غير أنّه وجد صعوبة في وضع هذه النظم.

واعتمادا على آراء سوسير العامة حول اللغة، وآراء بالي الخاصة حول الكلام، طوّر (ألبرت سيشهاي) نظريته حول المستوى الصوتي، حيث قام بالبحث في القيم الصوتية المتميزة التي تستمد خصائصها من النظام اللغوي لتمدّ الكلام بالأدوات البنائية للتعبير عن المواقف المختلفة، وقد اعتبرت هذه الأبحاث أسسا علمية لما سيعرف فيما بعد بالمدرسة الوظيفية، وقد اعتمد سيشهاي في دراساته الصوتية على مقولة سوسير الشهيرة(اللسان ظاهرة منطوقة أصلا، ومظهره الصوتي هو أوّل أدواته وأكثرها بروزا).

ومن أتباع بالي الذين اتجهوا اتجاها مختلفا في الدراسات اللسانية الباحث هنري فراي الذي انتبه إلى قدرات الكلام على الخروج عن النظام اللساني الذي يحدّ اللغة، لذلك حاول وضع نظرية حول الأشكال اللغوية المختلفة التي ينتجها جهاز الاستعمال، خاصة تلك التي تناقض النظام الثابت، وهو ما أسس فيما بعد لما يسمى بنظرية الانزياح عند رومان جاكبسون.

خاتمة:

اتّفق هؤلاء العلماء جميعا مع أستاذهم سوسير على الدراسة الوصفية للغة، (فدراسة اللسان في وقت معين هي الدراسة الآنية السكونية البنيوية التي تعنى بوصف النظام اللغوي بكل جزئياته بغض النظر عن التحولات التي يمكن أن تطرأ عليها زمنيا)، كما اتفقوا على أهمية ثنائية اللغة والكلام التي تعدّ عماد آراء سوسير اللسانية، رغم أنّهم ركّزوا على الطرف الثاني من هذه الثنائية لا الأول كما فعل سوسير، وما يحسب لعلماء مدرسة جنيف اللغوية هو فتحهم لمجالات جديدة في الدرس اللساني أسست لمدارس أخرى ليست في اللسانيات فحسب، وإنما في النقد الأدبي والدرس الصوتي وعلم الدلالة.

مدرسة براغ 1(المدرسة الوظيفية)

تمهيد:

من أهم المدارس اللسانية وأكثرها تأثيرا مدرسة براغ أو المدرسة الوظيفية، التي ظهرت للوجود ابتداءً عام 1926م، ومن أبرز أعلام هذه المدرسة: ماثيسيوس وجوزيف زباتي، وتلاميذهما، والأمير نيكولاي تروبتسكوي، ورومان جاكبسون وكرسيفسكي

عرفت "مدرسة براغ" صدى كبيرا في الأوساط اللسانية العالمية وعند الكثير من علماء العصر منهم: "أندري مارتيني" مؤسس اللسانيات الفرنسية بالإضافة إلى علماء مختلف الدول مثل: روسيا، هولندا، ألمانيا، فرنسا الذين صاغوا جملة من المبادئ الهامة التي تقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة في" لاهاي" سنة 1928 تحت عنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية"، وفي سنة 1928 قدموا الجزء الأول من الدراسة الجمالية بعنوان "الأعمال"، وفي سنة 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية أعدها (جاكبسون)،

كما عقد في براغ مؤتمر الصوتيات وتلته عدة مؤتمرات دولية، جمعت أعمالها في ثمانية أجزاء عن أعمال حلقة براغ حتى عام 1938 وهي السنة التي حلت فيها الحلقة لأسباب مجهولة.

1- مبادئ حلقة براغ اللغوية:

اتفق روَّاد حلقة براغ الألسنية على جملة من المبادئ المهمة، في المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة في "لاهاي" عام 1928م تحت عنوان: (النصوص الأساسية لحلقة براغ)،وهذه المبادئ هي:

- مفهوم اللغة في المدرسة الوظيفية:

تتصور هذه المدرسة اللغة باعتبارها نظامًا وظيفيًّا من العلامات يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، إذًا فهم تجاوزوا مقولة دي سوسير المشهورة بأن اللغة "نظام من العلامات"، إلى قولهم بأن "اللغة نظامٌ من الوظائف، وكلُّ وظيفة نظامٌ من العلامات ، لذلك ترى أنّ " اللغة أداه لها وظيفة تقوم بها، أو هي تنوّع واسع من الوظائف"، ونقصد بذلك أنّ اللغة هي تنظيم وظيفي قائم على الوسائل التعبيرية المستعملة بهدف إقرار غاية معينة.

واللغة عندهم حقيقة واقعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية، بعضها يتعلق بالسامع، والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام وهكذا يكون من الضروري التمييز على المستوى النظري والعلمي بين لغة الثقافة بصفة عامة، ولغة الأعمال الأدبية، والمجلات العلمية والصحف، ولغة الشارع...إلخ.

- أهمية الدراسة الوصفية التزامنية (الآنية):

اتفقت نظرة لسانيي براغ مع آراء سوسير حول ثنائية (التزامني/التاريخي) في الدراسات اللغوية واعتمدت على أساسها عدّة طروحات من أهمها:

1- الاهتمام بالمنهج التزامني (الوصفي) في الدراسة اللغوية، لأنه يمكننا من التحليل العلمي المنظم لأي لغة .

2- العمل على رصد الخصائص اللغوية لكل لغة في مراحل مختلفة من تطورها على أساس تزامني.

3- عند عمليات المقارنة اللغوية بين اللغات لابد من الاعتماد على أسلوب المقارنة التحليلية للغات ذات النماذج المختلفة من دون إشارة إلى علاقاتها التاريخية.

5- الاهتمام بالدراسات الصوتية في ضوء المنهج التزامني الآني، ومن أمثلة هذه الاهتمامات دراسة الفونيم وخصائصه في كل لغة من اللغات.

- مصطلح الوظيفة وأهميته في حلقة براغ:

يطلق على الدور التعبيري الذي يقوم به كل عنصر من عناصر اللغة في البنية اللغوية الشاملة سواء كان فونيما أو مورفيما أو كلمة أو جملة، فكل عنصر لغوي يساهم في وضع المعنى وبناء الدلالة وتحقيق الوظيفة.

وبناءً على هذا حدد جاكبسون العوامل أو الأطراف التي تؤثر في سيرورة الحدث اللغوي، أو بعبارة أخرى، التواصل بواسطة اللغة، وهي: • المرسل • المرسل إليه • الرسالة • السنن أو الشفرة • قناة الاتصال • السياق، وحدّد لكل عنصر وظيفته الخاصة، وهي التعبيرية والانتباهية والشعرية والإفهامية والمرجعية ووظيفة ما وراء اللغة.

- الوظيفة التعبيرية: وتسمى كذلك الوظيفة الانفعالية، وتتأسس على المخاطب، فتبدي عواطفه ومواقفه تجاه قضية ما، ويتجلى ذلك مثلا في طريقة النطق، وفي بعض الأدوات اللغوية التي تدل على الاستفهام أو التعجب أو الانفعال.

- الوظيفة الإفهامية : وتتعلق بالمتلقي، فالنص خاضع لتأثير حرية القارئ بأقصى ما في هذه الحرية من شفافية.

- الوظيفة الانتباهية: وتتعلق بقناة التخاطب وتتجلى كثيرا في المحاورات أو قنوات أخرى كالكتاب أو الحاسوب، ولذلك يمكن أن ندرج فيها كل ما من شأنه أن يثير انتباه المتلقي.

– الوظيفة ما وراء لغوية: وتتأسس على الوضع " code" وتعمل على التأكد من أن طرفي الخطاب ينطلقان من الأوضاع نفسها.

– الوظيفة الشعرية/الأدبية: وهي الوظيفة التي يكون فيها النص/ الخطاب غاية في ذاته فتصبح هي المعنية بالدرس.

– الوظيفة المرجعية: وهي التي تنصب على مرجع الرسالة (جميع الظروف التي تحف العملية التواصلية)

2- منهج حلقة براغ اللغوية:

1- التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في الاتصال ومناسبته ولمن يوجه، لأنّ اللغة نظام للاتصال والتعبير من أجل التفاهم المشترك

2- اللغة حقيقة واقعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية ، بعضها يتعلق بالسامع، والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام وهكذا يكون من الضروري التمييز على المستوى النظري بين لغة الثقافة، ولغة الأعمال الأدبية ، والمجلات العلمية والصحف، ولغة الشارع...إلخ.

3- على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين البنية اللسانية والأفكار والعواطف، التي توصلها هذه البنية، لأن اللغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية والنفسية للشخصية الإنسانية.

4- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، فلكل منها خصائصها المميزة ومن ثمة فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.

5- إعطاء الأولية للبحث الوصفي لما له من تأثير على الواقع اللساني الفعلي، دون استبعاد الدراسة التاريخية، لأنّ النّظام اللّساني الكامل لا بد أن يكون تاريخيا في ضوء الوصفية.

خاتمة:

فتحت حلقة براغ اللغوية المجال واسعا أمام اللسانيات المعاصرة لتطوّر الدرس البنيوي الذي أقرّ دي سوسير أسسه العلمية الأولى، من خلال حلقتين اثنتين، تناولنا الأولى من خلال آراء رومان جاكبسون الوظيفية التي ستتطوّر إلى الدرس الجمالي للغة والذي سيفيد النقد الأدبي عموما والنقد الأسلوبي خصوصا، ونتناول الحلقة الثانية من خلال دراسات العالم اللغوي (تروبتسكوي) حول الفونيم وأهميته الوظيفية.

مدرسة براغ 2 (هيملسيف):

هذه المدرسة الدانيماركية التي تمركزت بكوبنهاغن واقترنت أساسا باسم لويس وبروندال. وقد عرفت بالمدرسة الغلوسيمية، أين حاولت توسيع المفاهيم السويسرية وذلك من خلال معالجة الظواهر اللسانية معالجة دقيقة على منوال العلوم الطبيعية والرياضية، أي بالاعتماد على النماذج الرياضية والمنطقية، وكذلك على المنهج التجريبي في دراسة جزئيات اللغة فاعتبرت هذه الدراسة أول تعميق منهجي وعلمي لأراء دي سوسير اللسانية، وأول عصرنة للدراسات اللغوية باستخدام المناهج العلمية والرياضية .

أ- مفهوم النسقية (glossématique) مع هلمسليف:

العالم اللساني الدنمركي لويس هلمسليف هو الذي اخترع مفهوم غلوسيماتيك (glossématique) باشتقاقه من الكلمة الإغريقية (غلوسة) التي تعني (اللغة) لتعيين النظرية المستخلصة من نظرية دي سوسير التي تجعل من اللغة غاية لذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة بالكلام.

والغلوسيماتيك تقوم على النقد الحاد للسانيات التي سبقتها وحادت في نظرها عن مجال اللغة بانتصابها خارج الشبكة اللغوية واهتمامها بالإجراءات (غير اللسانية) التي تهدف إلى معرفة مصادرها الأولى وجوانبها الفيزيائية والظواهر الاجتماعية والأدبية والفلسفية.

والنسقية تنتصب على العكس من ذلك داخل اللغة فهي تصدر منها وإليها ولا تخرج عن دائرة اللغة المنظور إليها على أنها حقل مغلق على نفسه وبنية لذاتها وهي تبحث عن المعطيات

الثابتة التي تعتمد على الظواهر غير اللسانية، وهي تسعى إلى إبراز كل ما هو مشترك بين جميع اللغات البشرية، وتكون اللغة بسببه هي مهما تبدل الزمن وتغيرت الأحداث.

ب- مبادئ المدرسة النسقية:

1- ينطلق هلمسليف في نظريته من مفاهيم دي سوسير حول قضايا اللغة، والتي وردت في محاضراته، غير أنه دقق في عرضها بدرجة كبيرة من التجريد النظري، وصياغة المفردات والمصطلحات الجديدة، فهلمسليف لم يكتف بمجرد عرض لأعمال دي سوسير – ولاسيما البنيوية- وشرحها على الصورة التي وردت في مؤلفه القيم (محاضرات في علم اللغة العام) بل قام ببسط مفاهيمها والتدقيق في عرضها لصياغة نظرية بنيوية لسانية صارمة ذات توجه منطقي رياضي.

2- كما حاولت هذه النظرية أن تتميز عن مدرسة براغ بتوظيفها لمفاهيم لغوية مختلفة مرتبطة بالمفاهيم المنطقية الرياضية.

3- و قد تأثر هلمسليف بالمنطق الرياضي والمنهج العلمي السائد آنذاك، و لاسيما المنطق النمساوي لكارناب (Carnap). و هذا ما نلحظه في الأسس العقلانية التي بنيت عليها نظريته.

4- ولقد حاولت النظرية الغلوسيمية وصف الظواهر اللسانية وتحليلها وتفسيرها بطريقة علمية ورياضية منطقية، كما يقول هلمسليف: «إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي، يمكّن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل، من خلال إحصاء كل إمكانيات التأليف بين عناصر اللغة الثابتة » .

ج- أهم أعمال النظرية الغلوسيمية:

1- الموضوع الأساسي للدراسة اللسانية عند هلمسليف – **هو دراسة بنية اللغة**، وهذه الدراسة تكون باعتماد الشكلية، أي الطرق الرياضية البحتة، لذلك يرى هلمسليف أن « الألسنية الحقيقية تولي بنية اللغة جل اهتمامها وتساهم عبر تركيزها على البنية في تكوين العلوم الإنسانية،

فالنظرية اللغوية بنظره، تتوسل تحليل البنية، بنية اللغة، عن طريق اللجوء إلى مبادئ شكلية» .

2- **إعتماد مصطلحات خاصة وجديدة**، حيث تقوم المدرسة الغلوسيمية على مجموعة من المصطلحات الجديدة، إضافة إلى إعادة استعمال بعض المفردات القديمة بحلة جديدة، هي: جلوسيماتيك Glossématique – والتي سبق وأشرنا إليها – تدرس الغلوسيمات glossémes أي الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة وهي العلامة عند سوسير، وتنقسم بدورها إلى قسمين : وحدات التعبير وتدعى سوانم cénémes، وتقابل الدال، ووحدات المحتوى وتدعى مضامين plérémes وتقابل المدلول، كما استعمل هلمسليف مجموعة من المصطلحات منها: مستوى التعبير (Escpression plane)، ومستوى المضمون (content plane).

3- عمل هلمسيلف على **ضبط ثنائية سوسير التي تفرق بين اللغة والكلام** بما يكفي للإشارة إلى العلاقة الوظيفية التي تربط بينهما، حيث قام بضبط تصوره عن اللغة- باعتبارها الموضوع الأساسي لعلم اللسان- انطلاقا من تحديده لثلاثة مفاهيم فرعية وهي:

أ- الهيكل: وهو يمثل اللغة **كشكل صوري** ونموذجي وهي تقابل مصطلح اللسان.

ب- القاعدة: وتمثل اللغة كمادة يستعملها المتكلم، وتقابل اللغة كنظام

ج- الاستعمال: ويمثل اللغة كمجموعة من العادات الخاصة بالمتكلمين

4- **تأسيس نظرية لسانية وصفية تقوم على مبادئ علمية هي:**

أ – مبدأ التجريبية: اعتمد هلمسيلف في هذا المبدأ على الجمع بين ثلاث معايير أساسية: « اللاتناقض والتبسيط والشمولية»، فالدراسة العلمية الموضوعية لابد أن تقوم على احترام هذا المبدأ ذلك أن التراكيب المنطقية تقوم على قاعدة الجمع بين هذه المعايير التي توفر **الوصف الشامل** لأي نوع من النصوص، **دون أن يوجد تناقض بين الظواهر اللسانية**، كما عليها

أن **تراعي أبسط وصف للوصول إلى النتائج**. ولكي تتصف بهذه الخاصية يجب أن تكون خالية من كل تناقض وأن تتصف بالشمولية وتكون بسيطة سهلة الإدراك ما أمكن.

ب- مبدأ الإحكام و الملاءمة: تتميز النظرية الغلوسيمية بخاصتين أساسيتين هما:

- الإحكام الذي يعني الاتساق التام « أي تكون النتائج الطبيعية لأي قضية تابعة لمقدماتها المنطقية »، فلابد أن تكون النظرية اللسانية مبنية على أسس منطقية.

- أما **الملاءمة** فتتمثل في أن تلبي النظرية شروط التطبيق أي تكون ملائمة وقابلة للتطبيق على المعطيات اللغوية الأخرى.

خاتمة: النظرية المقصودة في المنهج الغلوسيماتي، هي النظرية المنطقية التي تقوم على التحليل المنطقي، و بعبارة أخرى فالمنهج الغلوسيماتي « يهدف إلى أن يكون موضوع اللسانيات علما بحتا» غير أن هذا المنهج « كان يمثل – في اللسانيات البنيوية بشكل عام وفي الجلوسيمية بشكل خاص – توجها جديدا، بإدخاله اللسانيات البنيوية مرحلة جديدة هي أشبه ما تكون بإعادة البناء والتأسيس، وجديدا بإحيائه لبعض المفاهيم القديمة في المنطق والفلسفة، و جديدا بتميز تصوراته عن التصورات اللسانية السائدة بما فيها تصورات البنيويين أنفسهم...» .

وهذا يدل على أن هلمسيلف قد عمل على تعميق أفكار دي سوسير في إطار البحث الجاد والدراسات المعمقة، التي اعتمد فيها على خطوات المنهج التجريبي.